المظاهر اللهجية في شعر العصر الاموي

أ.د. رباب صالح حسن

Drrabab03@gmail.com

الجامعة المستنصرية، كلية التربية

الملخص:

على الرغم من كثرة الدراسات حول الشعر الاموي عموما وشعر الغزل بشقيه الصريح والعذريتحديدا دراسة وتحليلا وعرضا سواء عن الظاهرة او عن اسبابها اوعن اصحابها فنيا واسلوبيا وموضوعيا ؛الا ان هذه المداخلة تؤكد ان مظاهر لهجية سادت لغة شعر هذا العصر وهذه المظاهر لم يتنبه اليها المتخصصون بادب العصر الاموي وقد وسمتلغته بسمات لغوية منها السهولة اللغوية والاقتراب من لغة الحياة اليومية فضلا عن اغناء المعجم اللغوي بمفردات تبدو قليلة الاستعمال في لغة الاغراض الاخرى بما يؤكد ان لكل غرض معجمه وخصائصه ولغته فضلا عن ان هذه القراءة ستوضح ان هذه المظاهر خاصة ببيئة محددة هي البيئة الحجازية ، وعليه سيركز هذا البحث على دراسة المظاهر اللهجية الاتية :

- ما الحجازية
- الوقف على الهاء
- تسهيل الهمزة

وسيخرج البحث بعدة نتائج مهمة ستحاول اضاءة بعض جوانب لغة هذه الظاهرة التي شغلت الدارسين والباحثين.

الكلمات المفتاحيّة :(اللهجات ، الشعر ، العصر الأموي ، المظاهر ، البيئة)

Rhetoric in the language of spinning poetry in the Umayyad era

professor Dr. Rabab Salih Hassan

Al-Mustanairiya Universty

Abstract

Despite the many studies on the poetry of yarn in the Umayyad era, both frank and theological study, analysis and presentation, whether the phenomenon or its causes and Ohn owners of technical and methodological and objective; however, this intervention paper confirms that the manifestations of barbarism prevailed language of hair spinning did not pay attention to specialists in the literature of the Umayyad era The linguistic features will be characterized by linguistic features, including the ease of language and approach to the language of daily life as well as the enrichment of the lexicon of the vocabulary in terms of use in the language of other purposes, which confirms that each purpose and its characteristics and vocabulary and that this reading will show that these aspects specific environment specific This study will focus on studying the following manifestations of violence:

-What is Hijaz
-Endowment on distraction
-Facilitate Hamza

The research will produce several important results that will try to illuminate some aspects of the language of this phenomenon that occupied the scholars and researchers.

Keywords: dialects, poetry, Umayyad era, appearances, environment

المقدمة:

قبل أن نلجّ إلى أهم المظاهر اللهجية التي سادت البيئة الأدبية الحجازية لا بد لنا من أن نتعرف إلى معنى اللهجة ومكانة اللهجة الحجازية بين اللهجات العربية.

واللهجة في الاصطلاح: ((مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفات جميع افراد هذه البيئة)) (أنيس، 1984)

وإذ تمثل كل لهجة بيئة محددة تسود فيها، فتمتلك كل بيئة لهجتها الخاصة فمن الطبيعي أن تتغاير اللهجات بتغاير البيئات فهناك البيئة السهلية، والبيئة الجبلية، والبيئة الصحراوية، وهناك البيئة الزراعية، والصناعية، والتجارية، والدينية ولكلٍ من هذه البيئات خصائصها اللغوية التي تكوّن لهجتها المتفردة.

ومن ثم يصحُّ أن تسود مظاهر لهجية معينة ضمن بيئة محددة من غير أن تسود تلك المظاهر اللهجية نفسها في بيئات أخرى تتحدث اللغة نفسها. وأصبحت اللهجات غالباً ما ترتبط بالقبائل التي تعيش ضمن بيئة معينة، فهناك اللهجة التميمية، وهناك اللهجة الأسدية، وهناك اللهجة القيسية، واللهجة الحجازية عموماً، والقرشية خصوصاً وغيرها من اللهجات.

وللنحويين واللغويين العرب القدامى آراء في تفضيل بعض اللهجات على غيرها، وكان للهجة القرشية بوصفها الخلاصة النقية للهجات القبائل العربية القدح المعلى في تفضيل العرب القدامى لها، وهذه بعض الآراء فيها.

يقول السيوطي: ((كانت العرب تحضر المواسم في كل عام وتجُّ البيت في الجاهلية وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تلكموا به.. فصاروا أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الألفاظ)) (السيوطي، د.ت).

ويقول ابن فارس مبرزاً فصاحة اللهجة القرشية: ((وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذ أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم احسن لغاتهم وأصفى كلامهم... فصاروا بذلك أفصح العرب)) (ابن فارس،، 1964)

أما ثعلب فرأيه أن اللهجة القرشية خلت أو كادت تخلو من العيوب التي أصابت اللهجات الأخرى، إذ يقول: ((ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة، وكسكسة هوزان وتضجع قيس)) (يحيى،، 1980)

وكثيراً ما يلجأ علماء العربية القدامى إلى ذكر اللغة الحجازية، ويريدون بها القرشية ويذكرون القرشية ويريدون بها الحجازية.

ومعنى هذا أن اللهجات تختلف في بعض احكامها ومفرداتها واصوات حروفها عن اللغة الأدبية الفصيحة وإن كانت اللهجات تحمل من الفصاحة الشيء الكثير، ومع محاولات الشعراء الجدية بأن تكون تجاربهم الشعرية تسري بحسب النظام التركيبي والصوتي والدلالي لنظام اللغة الأدبية الموحدة العام، فإن سريان مظاهر لهجية مختلفة وجد له منافذ ليتسرب إلى اللغة الموحدة.

وعلى الرغم من احتفاظ اللهجة الحجازية بالفصاحة وخلوها من العيوب، بحسب آراء اللغويين، وجد العلماء أنها تميزت من غيرها بظواهر لهجية متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر، وهو ما سنعرض له:

أ- ما النافية الحجازية	ظاهرة نحوية
ب- ظاهرة تخفيف الهمزة	ظاهرة صوتية
ج- الوقف على الهاء	ظاهرة صوتية

أ- ما الحجازية:

من المظاهر العامة في اختلاف لهجات العرب فيما بينها، بعض المناحي الإعرابية النحوية وقد تضافرت عدة نصوص على عزو ظاهرة نحوية ما إلى قبيلة عربية، وعزو ظاهرة أخرى إلى قبيلة ثانية.

ومهما يكن من أمر، فإن الظواهر النحوية المختلف فيها محدودة، ذلك أن بناء الجملة لا يناله في المبدأ كثير من التغيير (وافي،، د.ت)، أي أنها أقل الظواهر اللغوية كماً وطبيعةً، وقد صرح بذلك ابن جني في الخصائص (جني،، 1990)، ولذا فإن دراسة هذه الظواهر مفصلة تتطلب ذكر آراء العلماء القدماء وذكر تعليلاتهم.

ومن هذه الظواهر المختلف فيها (ما النافية) وإعمالها عند أهل الحجاز وإهمالها عند غيرهم كـ (تميم) مثلاً. وهذه الظاهرة هي من العوامل التي تسهم فأهل التعرف على الملامح المميزة للهجة الحجازية من الناحية الإعرابية (يعيش، د.ت).

فأعلم الحجاز يعملونها عمل ليس، ووجه الشبه بينهما كما يراه العلماء يتمثل في:

أ- إن ما نافية للحال كما أن ليس لنفي الحال.

ب- إن دخول (ما) على المبتدأ والخبر كدخول ليس عليهما.

وقد وردت (ما) عاملة عمل ليس في موضعين من القرآن الكريم[يوسف:28 _ المجادلة : 2]

وأكثر ورود (ما) مقترناً خبرها بحرف الجر المؤكد (الباء)، وقد بحث النحويون القدامى والمحدثون في مسألة إعمال (ما) وإهمالها، إذ أفرد سيبويه في كتابه باباً أسماه ((باب ما أجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز ثم يصير إلى أصله)) (سيبويه، د.ت) .

وورد ذكرها عند الأشموني، والرضي، والفرّاء (الفراء، الاشموني، و الرضي) .

ولما كانت ما فرعاً على ليس فإن أهل الحجاز لم يعملوها عملها إلا بشروط هي:

1- أن لا يزاد بعدها إن فإن زيدت بطل عملها.

2- إلا ينتقض نفيها بـ (إلا) فإن انتقض نفيها، بطل عملها، وذلك لأن (ما) إنما عملت لأنها أشبهت (ليس) من جهة المعنى وهو النفي فإن زالت المشابهة وجب ألا تعمل (سيبويه، د.ت)

3- ألاّ يتقدم الخبر على الاسم.

4- ألا يبدل على خبرها موجب فإنْ أبدل بطل عملها، وهذا الشرط لم ينص عليه سيبويه صراحة، وإنما من سياق الكلام.

وهناك شروط أخرى يمكن الرجوع إليها في أكثر من كتب اللغة والنحو السابقة الذكر، وقد تنبه العلماء الأوائل لهذه الفروقات في الاستعمال النحوي عند الحجازيين وعند التميميين مثلاً، ذلك أن أهل الحجاز يعملونها، كما سبق، وأهل تميم يهملونها ويعاملونها معاملة (هل) في إعراب ما بعدها مبتدأ وخبر.

وقد أورد اولئك العلماء صحة الأمثلة المأخوذة من الفريقين على أن يؤخذ بالقياس، وهو اللهجة التميمية إن كانت الرواية أوسع، وفي هذا يقول ابن جني: ((أعلم إنّ سعة القياس تبيح ذلك ولا تحصره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال ما يقبلها القياس يؤخذ به، ويخلد إلى مثله، وليس لك أن ترد أحدى اللغتين... فأما أن تقل إحداهما جداً، وتكثر الأخرى جداً فإنك تأخذ بأوسعها رواية وأقواها قياساً)) (جني،، 1990)

وأما فيما يخص الشعر الحجازي فمن الشواهد الشعرية نجد غلبة اقتران خبر (ما) بحرف الجر الزائد (الباء) لغرض التوكيد، ولقبه تنبه لمثل هذه الملاحظة النحويون العرب، فسيبويه يصرح بدخول الجار على خبر (ما) في كلامه على خبر ليس وقد افرد لذلك باباً بعنوان ((ما تجريه على الموضع لا على الاسم الذي قبله)) (سيبويه، د.ت)

والفارسي والزمخشري يجعلان اقتران (الباء) بخبر (ما) ظاهرة لهجية حجازية فهو مقصور عليهم (الجرجاني، 1982)...)) ودخول الباء في الخبر نحو قولك ما زيد بمنطلق، إنما يصح على لغة أهل الحجاز، لأن لا تقول زيد بمنطلق)) (عمر، (د.ت))

ولقد أدلى النحويون المحدثون بدلوهم في مسألة اقتران الخبر بالباء، ورأى بعضهم فيها لوناً من ألوان التطور اللغوي الذي يطرأ على الهيكل التركيبي للجملة في إطار لهجة واحدة (المخزومي و الراجحي، 1955،1966)

ويمكن مراجعة آرائهم في مظانها المعروفة.

وأيا يكن الخلاف، فإننا نجد أمثلة غير قليلة في الشعر الحجازي، لاقتران خبر ما، بالباء، وقد ارتبط بالأذهان إنّ، ما، وإنْ اقترن خبرها بالباء تبقى عاملة ويكون خبرها مجروراً لفظاً منصوباً محلاً.

ومن الأمثلة الواردة في شعر الحجازيين في العصر الأموي قول عروة بن أذينة (أذينة، (د. ت))

وجارٍ منعناهُ فقرّ جنابه ونامَ وما جارُ الذَّليلِ بنَائمِ

ويقول (أذينة، (د. ت)):

فما امرؤ لم يضع ديناً ولا حسباً بفضل مال وقى عرضاً بمغبون

وترد (ما) في شعر المجنون مرتبطاً خبرها بالباء في مثل قوله (ليلى، د.ت):

يقولون تب عن ذكر ليلى وحبَّها وما خلدي عن حبَّ ليلى بتائب

ويقول عمر (الشرح، د.ت):

فما قلب ابنِ عبد الله فيها بصاحٍ في الحياة ولا مفيق

ويقول القتال الكلابي (الكلابي،، 1961):

أعالي ما شمس النَّهار إذا بدت بأحسن مما تحت برديك عاليا

ويقول ابن قيس الرقيات (الرقيات، د.ت):

المانعو الجار أنْ يضام، فما ... جارٌ وعافيهم بمهتضم
والجابرو كسر من أرادوا وما الـ ... ـكسر الّذي أوهنوا بملتئم

ويميل البحث إلى أن زيادة الباء في خبر (ما) يوحي بتوكيد الخبر وترسيخه في ذهن متلقي النص، ولا يؤدي بالضرورة إلى إهمال اعمال (ما) وهذا ما لمسناه في أغلب النصوص التي عرضها البحث وفي نصوص أخرى مشار إليها، كما أن اقتران الخبر بالباء أصبح خصيصة لهجية حجازية، وهو ما أشار إليه الفارسي، والزمخشري.

ومما يلاحظ في الشعر الحجازي توافر الوحدة العضوية والتركيبية في القصيدة من خلال استعمال الشعراء وسائل تساعد على تلك الوحدة، فقد لحظنا أنهم مالوا إلى استخدام أسلوبي القص والحوار وهما مما يحقق للقصيدة وحدتها البنائية، أما على صعيد التركيب النحوي، فقد ساعدت (ما) ومعمولاها على تحقيق نوع من وحدة التركيب من خلال امتداد أثرها بحيث يتجاوز وحدة البيت المستقل بناء، وذلك أن خبر (ما) يأتي بعد ذكر اسمها بعدة أبيات مما يجعل المعنى ممتداً على مدى اوسع.

إذ مال الشعراء الحجازيون إلى شد تماسك أبيات قصائدهم عن طريق نثر (ما) النافية ومعموليها في أبيات القصيدة على النحو الذي ذكرناه، مما يجعل القارئ يفتش عن اسمها وخبرها خلال القصيدة، وبذلك يبقى منشداً إلى القصيدة، بمعنى آخر أن القصيدة الحجازية بفعل وسائل متعددة، سيأتي على ذكرها البحث، قامت على وحدة متكاملة، مما هيأ للبناء الهيكلي المتنامي أن يبدو بارزاً فيها. ومن الامثلة التي وردت فيها (ما) قول كثير عزة (عزة، د.ت):

فما روضةٌ بالحزن طيَّبة الثَّرى ... يمجُّ النَّدى جثجاثها وعرارها
بمنخرقٍ من بطن وادٍ كأنَّما ... تلاقت به عطارةٌ وتجارها
أفيد عليها المسك حتَّى كأنَّها ... لطيمةُ داريّ تفتَّق فارها
باطيب من أردان عزَّة موهنا ... وقد أوقدت بالمندل الرَّطب نارها

ويقول قيس لبنى (لبنى، الديوان، د.ت):

وما حائماتٌ حمنّ يوماً وليلةً ... على الماء يخشين العصيَّ حواني
عوافي لا يصدرن عنه لوجهةٍ ... ولاهنَّ من برد الحياض دواني
يرين حباب الماء والموت دونه ... فهنَّ لأصوات السقاة رواني
باجهد منّي حرّ شوف ولوعة ... عليك ولكنَّ العدو عداني

ويقول المجنون (ليلى، د.ت):

فما وجد مغلوبٍ بصنعاء مُوثَقٍ ... لساقيةٍ من ثقل الحديد كبول
قليل الموالي إلى مستهام مروَّع ... له بعد نومات العشاء عويل
يقول له الحدَّاد: أنت معذَّب ... غداة غد، أو مُسَّلمٌ فقتيل
باعظم منّي روعة يوم راعني ... فراق حبيبٍ ما إليه سبيل

فقارئ هذه الابيات يبقى متابعاً للمعنى الممتد عبر هذا العدد من الأبيات ليعرف قصة هذا المكبل بالأثقال والحديد، وحوار الحداد الذي صنع تلك القيود مع الشاعر، ليعرف إن هذه الاثقال وهذا المصير القاتم (التعذيب، أو القتل) لم يكن باعظم من جزع المجنون يوم فراق الحبيبة.

أي أن الشعراء الحجازيين يصنعون معادلات مواقف، فيعرضون لموقف (ما) يعادله إما موقف حائمات حمى، أو مواقف ظبية، أو موقف ذلك الموثق بالحديد، لتأتي المعادلة الثانية لتترسخ في الأذهان، وهي غالباً ما تكون صورة من صور الحبيبة، أو صورة من صور تعلق الشاعر بالحبيبة، ومن ثم تكون المعادلة الأولى وسيلة تعبيرية للوصول إلى ترجيح كفة المعادلة الثانية.

ويقول القتال الكلابي (الكلابي،، 1961):

وما مغزل ترعى بأرض تبالةٍ	**أراكاً وسدراً ناعماً ما ينالها**
وترعى بها البردين ثمَّ مقيلها	**غياطل ملتجٌّ عليها ظلالها**
كأن سحيق الاثمد الجون أقبلت	**مدامع عنجوجٍ حدرن نوالها**
تتبّع افنان الاراك، مقيلها	**بذي العش يعري جانبيه اختصالها**
ميممةً روض الرَّباب على هوىً	**فمنها مغان: غمرةٌ فسيالها**
بأحسن من ليلى وليلى يشبهها	**إذا اهتكت في يوم عيدٍ حجالها**

فالقتال قدم الصورة الأولى للمغزل التي ترعى في أرض صنعاء، وامتدت هذه الصورة على مدى خمسة أبيات، ليأتي البيت السادس، ليقدم صورة الحبيبة التي أذابت الصورة الاولى، أو شوهتها على لغة أهل الفن، لأن صورة الحبيبة كانت أبدع وما كانت الصورة الأولى لتوازيها، فالشعراء يعمدون إلى تفصيل جزئيات الصورة الأولى وذكر دقائقها، ليقدموا صورة ثانية موجزة لا تتجاوز البيت لكنه كاف لالغاء جمال الصورة الاولى، على الرغم من أن الصورتين قائمتان على الموازنة، أما الصورة الثانية، التي حقق القتال فيها وحدة تركيبية جميلة، فهي في قوله (الكلابي،، 1961):

وما مغزل من وحش عرنان اتلعت بسنتها اخلت عليها الاواعس

فالشاعر هذا لم يذكر المعمول الثاني لـ (ما)، معتمداً على حسن ظنه بالقارئ في تأويل الخبر.

وبعد أن قدم البحث بعض الامثلة الواردة في شعر الشعراء الحجازيين (بثينة، د.ت) من استعمالهم (ما) يتوصل البحث إلى أن (ما) قد وردت في كل الامثلة الواردة مقترناً خبرها بالباء الزائدة، مما يؤكد بأنها ظاهرة خاصة بلهجة أهل الحجاز، والامر الثاني أن الشعراء الحجازيين حققوا لقصائدهم نوعاً من الوحدة العضوية من خلال شدهم لابيات قصائدهم عن طريق التركيب النحوي لما ومعمولها وتوزيعها في ثنايا الابيات الشعرية.

ت- تسهيل الهمزة، وتسهيل حروف أخرى:

من الظواهر اللغوية الصوتية التي شاعت في البيئة الحجازية تسهيل الهمزة ومن المعروف أن الهمز ظاهرة صوتية اشتهرت بها القبائل البدوية مثل تميم وقيس وأسد وغيرها من قبائل وسط الجزيرة وشرقيها، وأن ترك الهمزة ظاهرة حضرية تميزت بها معظم القبائل الحجازية (أنيس، 1984) (يعيش، د.ت).

وقد لفتت هذه الظاهرة انتباه النحويين واللغويين فسيبويه يعلل ظاهرة التخفيف بقوله أن الهمزةَ بعُد مَخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك، لأنه كالتهوع (سيبويه، د.ت).

وقد اكدت الدراسات اللغوية الحديثة ما ذهب إليه سيبويه، فقد وجد ((إن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي، قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر مما يجعلنا نعد الهمزة أشد الاصوات)) (انيس، 1971). وهذا الرأي أكده د. صاحب أبو جناح في كتابه (الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز) (جناح،، 1988).

وقد فسر المحدثون هذه الظاهرة بـ ((أن القبائل البدوية تميل إلى السرعة في نطق كلامها فكان تحقيق الهمزة في لسانها وسيلة لتخفيف هذا العيب، أما القبائل الحضرية فقد كنت متأنية في نطقها... ولذا لم تكن بهم حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة، فأهملت همز كلماتها، واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة كالتسهيل والتليين، والابدال، والاسقاط)) (شاهين، 1966).

ومن الباحثين من لم يربطها بلهجة معينة وإنما ربطها بالتطور العام للغة التي تميل في تطورها نحو السهولة واليسر، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة التي تتطلب جهدا عضلياً كبيراً وتستبدل بها أصواتاً أخرى (التواب،، 1983).

وهذا ما حصل للبيئة الحجازية، إذ إن التطور اللغوي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتم في ظروف معزولة، أو في بيئة صحراوية، لهذا احتفظت اللهجة التميمية بالهمزة محققة، في حين مالت اللهجة الحجازية إلى تخفيفها لحضرية هذه البيئة وهذه الظاهرة لم تكن مقتصرة على الشعر بل وقعت في النثر، فابن جني يفرد باباً لدراسة هذه الظاهرة واسماه ((باب في حذف الهمز وابداله، قد جاء هذا الموضع في النثر والنظم جميعاً)) (جني،، 1990)

والذي يؤكد وقوعها في النثر ورودها في القراءات وبكثرة وفي قراءة أهل الحجاز بخاصة (جناح،، 1988).

ويمكن تقسيم ما ورد عن شعراء أهل الحجاز في العصر الأموي، من تسهيل الهمزة على نوعين:

أ- **الحذف:** أي حذف الهمزة من دون تعويضها بحرف آخر، وقد شاع هذا في شعر الحجازيين كثيراً، ومنه قول الاحوص (الاحوص، د.ت):

ولكن عطاءٌ من إمامٍ مباركٍ ملا الأرض معروفاً وعدلاً وسؤدداً

فالأصل يجب أن يقول ((ملأ)) ولكنه سهل الهمز على لهجة أهل الحجاز فحذفها دون تعويض، وفي موضع آخر يقول (الاحوص، د.ت):

أصاح ألم تحزنك ريحٌ مريضةٌ وبرقٌ تلألأ بالعقيقين لامع

اراد (تلألأ) فسهل الهمزة، دون تعويضها، ويرد التسهيل من دون تعريض في شعر العرجي كثيراً، ومنه قوله (العرجي، د.ت):

إذا ضربتْ بالبُرد من دون وجهها تلالأ احمُّ المقلتين اسيل

أراد تلألأ، فحذف الهمزة دون أن يعوضها حرفاً اخر، ويقول (العرجي، د.ت)

نسجته صَباً، وصوبُ شمالٍ ليس فيه قذىً بروس اللصاب

أراد (رؤوس)، وهي اعالي الاودية، أما عروة بن أذينة فيرد عنده حذف الهمزة من دون تعويض في قوله (أذينة، (د. ت)):

ولقد عرفت وإنْ حزنت عليهم أن سوف اخفض للحوادث جاشا

أي جأشاً .

ويرد التسهيل في شعر عمر بن أبي ربيعة كثيراً وهو مانح جمله الشعرية انسياباً وتدفقاً، ومن ذلك قوله (الشرح، د.ت):

حريصة أن تكفَّ الدَّمع جاهدةً فما رقا دمع عينيها وما جمدا

اراد رقأ أي سال فحذف الهمزة.

أما شعر أهل الغزل العذري فيحفل بأمثلة غير قليلة، حذف الشعراء فيها الهمزة من دون تعويضها من ذلك قول قيس لبنى (لبنى، الديوان، د.ت):

وإنَّ زماناً شتَّت الشَّمل بيننا وبينكم فيه العدى لمشوم

أراد مشؤوم، ويقول المجنون (ليلى، د.ت):

باكياً ساهياً نحيلاً ذليلاً ليس يهدا وليس يطْعَمُ غمضا

فأراد يهدأ والشواهد الشعرية التي خفف فيها أصحابها الهمزة دون أن يعوضوا كثيرة في شعر الحجازيين يتعذر استقصاؤها (الرقيات، د.ت).

ب- **الابدال أو التعويض:** وهو حذف الهمزة، وتعويضها بحرف من جنس حركة الذي قبلها، فإن ((كان ما قبلها مكسوراً أُبدلت مكانها ياءاً، كما أبدلت مكانها واواً إذا كان ما قبلها مضموما، وألفاً إذا كان ما قبلها مفتوحاً... فغنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها)) (سيبويه، د.ت).

ومن أمثلة ما أبدلت فيه الهمزة ياء قول عمر بن أبي ربيعة (الشرح، د.ت):

على العهد سلمى كالبريّ وقد بدا لنا لاهداه الله ما كان سبّبا

فالأصل كالبريء إلا أنه سهل الهمزة بقلبها ياء ثم ادغم الياء في الياء الثانية، ومنه قوله (الشرح، د.ت):

وتذكرت ظبيةً أم ريمٍ صدع القلب ذكرهما فشجاني

أصل الريم (رئم) إلا أنه سهل الهمزة بقلبها ياء مجانسة لحركة ما قبلها، ويقول كثير عزة (عزة، د.ت):

وهو التيس لؤما وهو أن راء غفلة من الجار أو بعض الصحابة ذيب

فالذيب هو الذئب، فحذفها الهمزة وعوض مكانها ياء لأن الذال مكسورة فمجانسة لحركتها أبدلت ياء، ويقول العرجي (العرجي، د.ت)

قد قدته نحو ليلى قبل ذا زمناً فما سلمت وما هنيت بالظفر

هنئت- هنيت، ويقول عروة (أذينة، (د. ت)):

فقلـــــت وأنَّـــــي مـــــن عصـــــيمة فتيـــــةٌ أنـــــا خـــــوا بخـــــرقٍ لغَّبـــــا كالنَّعـــــايم
وقد رجمت شهراً يدور بها الكرى ذوايبهم ميل الطُّلى والعمايم

فالكلمات المسهلة الهمزة (تعليم، وذوايب، وعمايم) وهي في الأصل (نعائم، وذوائب، وعمائم).

ومن الأمثلة التي أبدلت فيها الهمزة الفاً قول عمر (الشرح، د.ت)

لو كفي اليمنى سأتك قطعتها ولذقت بعد رضاك عيس الاجذم

فالأصل (ساءتك) فخفف الهمزة بقلبها ألفاً لكونها مفتوحة فاجتمعت الفان فحذف أحدهما ويقول العرجي (العرجي، د.ت):

عرفـــــت مكـــــة الحـــــرام وقصـــــياً وقصـــــــــيّ قـــــــــريش إذ بواهـــــــــا
انزل النَّاس بالظَّواهر منها وتبوَّا لنفسه بطحاها

أراد (بوأها، وتبوأ) فحذف الهمزة وعوض مكانها ألفاً مجانسة لحركة ما قبلها، ومن الامثلة على ابدال الهمزة، بعد حذفها واواً، قول العرجي (العرجي، د.ت) :

تأوَّبني طيفٌ بعيد التَّأوُّب هدواً ولم يشعر به صاحبي

فالأصل (هدوء) فحذف الهمزة وعوض عنها بواو مجانسة للحرف الذي قبلها وهو الضم فاجتمعت واوان فادغمهما.

وهكذا نلحظ أن الشعراء الحجازيين كتبوا شعرهم بتحقيق الهمزة اتباعاً للغة الفصحى، التي أخذت التحقيق من اللهجات البدوية، غير أنهم لم يسلموا من تأثير البيئة عليهم، فخرج أغلب شعرهم مسهلاً مخففاً من الهمز، وهو ظاهرة لهجية خاصة بالبيئات التي مالت إلى التحضر.

وبعد أن درس البحث ظاهرة تخفيف الهمز وأنواعها، وأورد امثلة منها لحظ أن الشعراء الحجازيين، وفي محاولة منهم لاختصار اكبر عدد ممكن من الحروف والتقليل من الجهد العضلي في الجهاز النطقي للمتكلم والقارئ، عمدوا إلى نوع اخر من التخفيف وهو حذف بعض الحروف من الكلمات لاحسانهم الظن بقارئهم ومتذوق شعرهم وقدرته على إدراك الحرف المحذوف، ومن مظاهر ذلك التخفيف، حذف النون من حرف الجر (من)، وهي ظاهرة لهجية خاصة بالبيئة الحجازية أيضاً، وليس صحيحاً ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن حذف (النون) هو لملاءمة الغناء، الذي شاع في البيئة الحجازية (النعيمي، 2020) ' فكثير من القصائد المغناة لم يفكر أصحابها في أنها ستغنى، لأنهم إنما كتبوها للتعبير عن تجاربهم الذاتية لاسيما شعراء الغزل العذري، وأن كان هناك من صنع شعره للغناء، غير أن هؤلاء قلة، كما أن حذف النون لم يكن خاصاً بموضوع شعري معين، إنما كان ظاهرة شائعة في أغلب الشعر الحجازي في مختلف اتجاهاته وموضوعاته.

وظاهرة حذف النون من (من) قديمة، وقد درسها ابن جني في كتابه الخصائص في باب (غلبة الفروع على الأصول)، واعطى الامثلة والشواهد على ذلك (جني،، 1990) ، إلا أننا في العصر الأموي نلحظ إن الظاهرة أصبحت شائعة ولافتة للانتباه، وهي لاشك من دواعي التحضر البيئي اللغوي، أن جاز لنا هذا التعبير، وفي دعوة للتخلص من بعض الحروف، شريطة وضوح العبارة، ما دام القارئ الفطن يستطيع التقدير، ومن الأمثلة على ذلك قول الاحوص (الاحوص، د.ت):

لا يبلغ الناس ما فيهم، إذا ذكروا مل مجد إنْ أجحفوا في المجد أو قصدوا

فالشاعر اراد (من المجد) فحذف النون والملاحظ أن هذا الشعر في المدح، ومن ذلك ايضاً قول قيس لبنى (لبنى، الديوان، د.ت):

وما أنس من الاشياء لا أنسى قولها وأدمعها يذرين حشو المكاحل

وقول كثير (عزة، د.ت):

وما انس م الاشياء لا انسى ردَّها غداة الشبا اجمالها واحتمالها

وقال العرجي (العرجي، د.ت):

حتَّى بدا ساطعٌ ملفجر تحسبه سنا حريقٍ بليلٍ حين يضطرم

وقول ابن قيس الرقيات (الرقيات، د.ت):

أســـــديتها فـــــي النَّـــــوال صـــــالحة إلاّ عطـــــاء مـــــل واحـــــد الصـــــمد

إلى أهوى من الشَّراب ومل مال وحلو الحياة والولد

أراد (من الواحد، ومن المال).

ويقول جميل (بثينة، د.ت):

لها في سواد القلب م الحب ميعة هي الموت أو كادت على الموت تشرف

أما عمر فتتكرر عنده هذه الظاهرة بكثرة، ومن أمثلة ذلك قوله (الشرح، د.ت):

وتعلم أنَّ لها عندنا ذخائر ملحبَّ لا تظهر

وقد يعمد الشاعر الحجازي إلى حذف حرف من حروف الكلمة كحذف حرف التاء من الفعل استطاع وتصريفاته ومن الامثلة على ذلك قول الاحوص (الاحوص، د.ت):

والمانعون فلا يسطاع ما منعوا والمنجزون لما قالوا إذا وعدوا

وقول قيس لبنى (لبنى، الديوان، د.ت):

ولو أنني اسطيع صبراً وسلوة تناسيت لبنى غير ما مضمر حقدا

ويقول عمر (الشرح، د.ت):

أرسلت نحوي الرسول لالقا ها فأرسلتُ عند ذاك: بأن لا

لست اسطيع للرسول وايقنـ ـت يقيناً بلومها حين ولَّى

وقوله (لبنى، الديوان، د.ت):

فلبثت أرقيها بما لو عاقل يرقى به ما اسطاع ألاَّ ينزلا

ففي الامثلة السابقة نجد أن الشاعر الحجازي حذف التاء من الفعل (استطاع) بكل صيغة وأزمنته (استطاع، استطيع، استطاع).

ومن الامثلة الاخرى على حذف بعض الحروف، قول قيس لبنى (لبنى، الديوان، د.ت):

وقال غدا تباعد دار لبنى وتنأى بعد ود واقتراب

أي تتباعد، فحذف الشاعر إحدى التاءين تسهيلا وتخفيفاً، ويقول الاحوص (الاحوص، د.ت):

كأنّي من هواك أخو فراش تجلجل نفسه بين التَّراقي

أي تتجلجل فحذف إحدى التاءين، ويقول العرجي (العرجي، د.ت):

تكفا ويمشين الهوينا تأوُّدا كما أناد غصن بله ضرب هاضب

أي تتكفأ ويقول في موضع اخر (العرجي، د.ت)

يصيح في صفح متنيها له قرش كما تصيح في العذق العصافير

كأنّها إذ تكفَّى في تأوُّدها غصن يراح على علياء ممطور

أراد في البيت الاول (تتصيح) وفي البيت الثاني تتكفى، فحذف إحدى التاءين للتسهيل، وفي شعر عمر أمثلة متعددة لمثل هذا الاختزال في الحروف من مثل قوله (الشرح، د.ت):

قامت تهادى وأترابٍ لها معها هونا تدافع سيل الزل إذا مارا

أي تتهادى، ويقول (الشرح، د.ت):

إذا فقدته ساعة عند مرتع تراها عليه بالبغام تفجَّع

والبحث ينبه على أن الأمثلة التي عرضها ليست على سبيل الاحصائية الدقيقة، وإنما هي على سبيل التمثل لا الحصر، وبالأمكان استخلاص نماذج شعرية أخرى كثيرة ليتأكد أن البيئة الحجازية، هي بيئة حضرية، مالت إلى السهولة والتخفيف في كثير من نواحي حياتها، ولاسيما على صعيد اللغة الشعرية.

3- الوقف على الهاء:

وهو من الموضوعات اللغوية الصوتية التي شاعت عند الحجازيين والوقف يعني أن يصل الشاعر كلامه بهاء تمكنه من الوقوف على متحرك، وقد علل سيبويه هذه الظاهرة في باب أسماه ((باب ما يبنون حركته وما قبله متحرك)) إذ يقول: ((فذلك قولك: هذا

غلامية... كرهوا أن يسكنوها إذ لم تكن حرف الاعراب وكانت خفيفة فيبنوها... وقالوا هية، وهم يريدون هي وشبهوها بياء بعدي، وقالوا هوه، كما كانت الواو لا تصرف لاعراب، كرهوا أن يلزموها الاسكان في الوقف فجعلوها بمنزلة الياء، كما جعلو كيفة بمنزلة مسلمونة)) (سيبويه، د.ت).

وقد ورد الوقف في القرآن الكريم بقوله تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ*وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ*يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ*مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ*هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾**[الحاقة : 25_ 29].

ومن الباحثين من جعل هذه الظاهرة خصيصة لهجية حجازية، إذ أنها تشيع في الحجاز بخاصة، وقد عللوها بأن العربي يأبى الوقف على المقطع المفتوح في الكلمة ويحاول اغلاقه بأن يمتد النفس فيسمع بعد الفتحة أو بعد ألف المد ما يشبه الهاء (انيس، 1971).

إن الوقف على الهاء يساعد على مد الصوت واطالته، فعند النطق بالهاء المجهورة تندفع من الرئتين كمية كبيرة من الهواء اكبر مما يندفع مع الاصوات الاخرى، فيترتب عليه سماع صوت الحفيف مختلطاً بذبذبة الوترين الصوتيين)) (انيس، 1971)

والذي يميل إليه البحث أن في هذا الوقف ما يقترب من اللغة النسائية الهادئة الساكتة الرقيقة ومن لغة الندب والعويل، فالآيات الكريمات تصوير لحالة إنسان لم يعمل لآخرته، فكان ان اعطى كتابه بشماله، فبدأ بالندب والعويل والتفجع على نفسه، والامثلة التي سيعرضها البحث ربما تقرب من هذه الدلالة أيضاً.

يقول ابن قيس الرقيات (الرقيات، د.ت):

إذ لمتَّـــي ســـوداء لـــيس بهـــا ... وضـــح ولـــم أفجـــع باخوتيـــهْ
كيـــف الرقـــاد وكلَّمـــا هجعـــت ... عينـــي ألـــم خيـــال اخوتيـــهْ
تبكي لهم اسماء معولةً ... وتقول ليلى وارزتيهْ

فهذه القصيدة سياسية في رثاء قتلى الحرة، وتحمل الدعوة إلى الثأر من الأمويين لأنهم كانوا وراء كل ما أصاب أهل الحجاز ما أحزان:

والله ابـــرح فـــي مقدمَّـــة ... أهـــدي الجيـــوش علـــى شـــكتَّيه
حتَّى أفجعهم باخوتهم ... واسوق نسوتهم بنسوتيه

لقد عبرت هذه القصيدة عن جو الحزن والبكاء والندب، مما يصح أن تندب به النساء، وربما أراد الشاعر قصيدته أن تكون حاضرة في كل مجلس غناء باك أو مجلس نواح، فاختار الوقف على الهاء نظاماً صوتياً لها، كما كان وسيلة للوقف على متحرك، وقد يقرب هذا الوقف من لغة النساء بما يمنح القصيدة شعبية الاداء، يقول ابن قيس الرقيات (الرقيات، د.ت):

ولقـــد عصـــيت النَّاهيـــا ... ت الناشـــرات جيوبهنـــه
حتَّـــى ارعويـــت إلـــى الرَّشـــا ... د ومـــا ارعويـــت لنهيهنـــة
وبنـــات كســـرى فـــي الحريـــ ... ـر عوامـــلٌ يخدمنهنَّـــة

ويقول الاحوص (الاحوص، د.ت):

يـــا حســـن منهـــا يـــوم قالـــت تـــدللا ... تبـــدَّل خليلـــي، أنَّنـــي متبدلـــة

فكان الأولى أن يقول (متبدلة) على أنها خبر (أن) إلاّ أنه وقف على الهاء ليعطي دلالة اللهجة النسائية ويقرب موضوعه من شعبية الاداء، وقد يعمد إليه الشاعر لتمكينه من الوقوف على متحرك كما في قول كثير (عزة، د.ت):

إذا المـــرء لـــم يبـــذل مـــن الـــود مثلمـــا ... بـــذلت لـــه فـــاعلم بـــأنّي مفارقـــه
ولا خيـــر فـــي ود إمـــرىء متكـــارهٍ ... عليـــك ولافـــي صـــاحبٍ لا توافقـــه

ويقول (عزة، د.ت):

رأيـــت غرابـــاً ســـاقطاً فـــوق بانـــة ... ينتـــف أعلـــى ريشـــه ويطـــايره
فقلـــت ولـــو أننّـــي أشـــاء زجرتـــه ... بنفســـي للنَّهـــدي هـــل أنـــت زاجـــره

وهكذا كان الوقف على الهاء خصيصة لغوية صوتية ساعدت الشعراء على ابراز موقفهم النفسي والتفنن في ادائهم الشعري.

الخاتمة والنتائج:

بعد هذه الرحلة في شعر شعراء البيئة الحجازية وتدبر الجوانب اللهجية في أشعارهم يتوصل البحث إلى الآتي :

1- إن اللغة الحجازية تعد رديف اللغة العظمى والمثال الذي جمع خصائصها ومع ذلك فإن البحث وجد مظاهر لهجية انبثت في ثنايا أشعار الشعراء.

2- إن ميل الشعراء إلى أعمال (ما) وإيراد الباء الزائدة في حيزها لم يكن القصد منه الجانب النحوي واللغوي فقط وإنما لجأ إليها الشعراء في تحقيق الوحدة الفنية والعضوية لقصائدهم عن طريق نثر معمولي (ما) الحجازية خلال الأبيات .

3- إن الوقف على الهاء ظاهرة لهجية حجازية صوتية ساعدت على إبراز لغة السهولة اليومية ولغة المرآة تحديداً.

4- عمد الشعراء إلى تسهيل الهمزة رغبة منهم في تقليل الجهد العضلي الواقع على الجهاز النطقي والتنفسي عند تحقيق الهمزة .

إن تسهيل ظاهرة ارتبطت بالتطور اللغوي الذي يصاحب

المصادر والمراجع :

ابن أذينة ،عروة. ((د. ت)). ، *الديوان*. ، الكويت،: دار القلم .

ابن جني، (1990). *الخصائص*. بغداد، ، : دار الشؤون الثقافية العامة.

ابن فارس، (1964). *الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها*،. بيروت، لبنان، : مؤسسة بدران، للطباعة والنشر،.

ابن يعيش. (د.ت). ، *المفصل*،. إدارة الطباعة المنيرية لصاحبها محمد منير عبدة أغا الدمشقي .

ابو جناح، صاحب. (1988). *الظواهر اللغوية في قراءة أهل الحجاز* ،. (العراق: ، جامعة البصرة، .

الاحوص. (د.ت). *شعره*.

انيس ، إبراهيم. (1971). ، *الاصوات اللغوية*،. مصر: مكتبة الأنجلو.

أنيس، ابراهيم. (1984). ، *في اللهجات العربية*. مكتبة الانجلو المصرية، : مصر،.

بثينة ، جميل. (د.ت). *الديوان*.

ثعلب، ابو العباس احمد بن يحيى،. (1980). *مجالس ثعلب*. مصر، .

الجرجاني ،عبد القاهر. (1982). *المقتصد في شرح الإيضاح*،. العراق.

الرقيات، ابن قيس. (د.ت). *الديوان*.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر. ((د.ت)). *المفصل في علم العربية ومعه كتاب الفيصل في شرح المفصل*. القاهرة،: مطبعة حجازي .

سيبويه. (د.ت). ، *الكتاب*. ، طبعة دار الكتب .

السيوطي (ت911هـ). (د.ت). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*،. ، صيدا: منشورات المكتبة العصرية.

شاهين ، عبد الصبور. (1966). ، *القراءة القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث*،. مصر: دار القلم.

الشرح، عمر. (د.ت). *الديوان*.

عبد التواب، رمضان. (1983). *التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه*، . مصر: مكتبة الخانجي.

العرجي. (د.ت). *الديوان*.

عزة ، كثير. (د.ت). *الديزان*.

الفراء، الاشموني، و الرضي. (بلا تاريخ). *شرح الأشموني على ألفية ابن مالك المسمى منهج السالك إلى ألفية ابن مالك* ، *شرح الرضي على كافية ابن الحاجب معاني القراء*. مكتبة النهضة المصري.

الكلابي ، القتال ،. (1961). *الديوان*. (بيروت،: دار الثقافة، .

لبنى ، قيس. (بلا تاريخ). *الديوان*.

ليلى.، مجنون (د.ت). ، *الديوان*.

المخزومي ، مهدي ، و الراجحي، عبده. (1955،1966). *اللهجات العربية في القراءات القرآنية، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو*. مصر،، بغداد،: دار المعارف، مطبعة دار المعرفة، .

النعيمي، زينب مديح جبارة. (2020). *لغة الغزل في العصر الأموي*. مؤسسة ثامر العصامي.

وافي، علي عبد الواحد. (د.ت). *نشأة اللغة عند الانسان والطفل، .* ، القاهرة: ، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر.

Sources and references:

Ibrahim Anis. (1971). Linguistic sounds. Egypt: Anglo Library.

Ibn Jinni. (1990). Properties. Baghdad: House of General Cultural Affairs.

Ibn Faris,. (1064). Al-Sahbi in the jurisprudence of the language and the Sunnahs of the Arabs in their speech,. Beirut, Lebanon: Badran Foundation for Printing and Publishing.

Ibn Qais Al-Ruqayat. (d.t.). The Diwan.

Son lives. (d.t.). , joint,. Al-Muniriya Printing Department, owned by Muhammad Munir Abdo Agha Al-Dimashqi.

Al-Ahwas. (d.t.). hair.

Al-Zamakhshari, Jarallah Mahmoud bin Omar. ((DT)). Al-Mufassal in Arabic Science, along with Al-Faisal's book Sharh Al-Mufassal. Cairo: Hegazy Press.

Al-Suyuti (d. 911 AH). (d.t.). Al-Mizhar in Language Sciences and its Types. Sidon: Modern Library Publications.

Al-Suyuti. (d.t.). Al-Mizhar in linguistics and its types. Beirut-Sidon: Anglo Library.

Al-Araji. (d.t.). The Diwan.

Al-Farra, Al-Ashmouni, and Al-Radi. (no date). Al-Ashmouni's commentary on Ibn Malik's Alfiyyah, called Manhaj al-Salik to Ibn Malik's Alfiyyah, Al-Radi's commentary on Ibn al-Hajib's Kafiya Ma'ani al-Qura'. Egyptian Nahda Library.

Dog fighting,. (1961). The Diwan. (Beirut: House of Culture. ,

Fox Abu Al-Abbas Ahmed bin Yahya,. (1980). Fox boards. Egypt. ,

Beautiful Buthaina. (d.t.). The Diwan.

Dr.. Ibrahim Anis. (1984). , in Arabic dialects. Anglo-Egyptian Library: Egypt.

Dr.. Ramadan Abdel Tawab,. (1983). Linguistic development, its manifestations, causes and laws. Egypt: Al-Khanji Library.

Dr.. The owner of Abu Jannah,. (1988). Linguistic phenomena in the reading of the people of Hijaz. (Iraq: Basra University.

Dr.. Abdel Sabour Shaheen. (1966). Qur'anic reading in light of modern linguistics. Egypt: Dar Al-Qalam.

Dr.. Ali Abdul Wahid Wafi,. (d.t). The emergence of language in humans and children. Cairo: Dar Al-Nahda, Egypt for Printing and Publishing.

Zainab Madih Jabara Al Nuaimi. (2020). The language of spinning in the Umayyad era. Thamer Al-Asami Foundation.

Sibawayh. (d.t.). , the book. Dar Al-Kutub edition.

Abdul Qahir Al-Jarjani. (1982). Al-Muqtasid in explaining the clarification. Iraq.

Urwa bin Uthaina. ((D.T)). , Al-Diwan. Kuwait: Dar Al-Qalam.

Omar explanation. (d.t.). The Diwan.

Qais Lubna. (no date). The Diwan.

Qais Lubna. (d.t.). The Diwan.

Much pride. (d.t.). Al-Dizan.

Layla's crazy. (d.t.). , Al-Diwan.

Mahdi Al-Makhzoumi and Abdo Al-Rajhi. (1966,1955). Arabic dialects in Qur'anic readings, the Kufa school and its approach to studying language and grammar. Egypt, Baghdad: Dar Al-Ma'rif, Dar Al-Ma'rifa Press.